اجسامهم بالغبار . او بعبارة اخرى هو « غبار المتصارعين » ففسّره الثعالبي : « غبار الحرب » ولا يخفى على الناقد ما في ذلك من مقاربة المعنى . والكلمة اليونانيّة مشتقّة من κόνις وهو الغبار . ثم ان هذه اللغات المختلفة تطلعك اولًا على ان كثرة اللغات هي شيء كالدليل يرشدك الى اعجميّة اللفظة . وثانيًا على ان العرب ربّما عرّبوا اللفظة الواحدة بصور عديدة تقرب من الاصل قليلًا او كثيرًا حسب رواية ودراية الراوي . ثالثًا على ان العرب لا يؤوّلون الكلمة تأويلًا مدققًا فيه بل يحتاج الى تنقيح واصلاح . رابعًا على انهم يتصرّفون بالكلمة الواحدة كما يشاؤون فيزيدون عليها وينقصون منها معنًى ومبنًى بدون ان يكترثوا لذلك ولا ينوصوا . وهذا ما يذكّرني ما جاء في التاج في مادة كبريت اذ قال ما حرفهُ : « فسّروهُ (الكبريت) بالذهب الاحمر . قال ابن الاعرابي : ظنّ روبة ان الكبريت ذهب . قال شيخنا : وخطئ فيه لان العرب القدماء يخطئون في المعاني دون الالفاظ » اه . فهل من دليل اوضح من هذا لديك على صحّة ما نقولهُ . ولهذا فقد عجبنا من كلام اللغوي البارع الاب لامنس في حاشيته على كلمة : (٦ العَرَت) اذ قال ان معناهُ في اليوناني « السطر من الاشجار » نعم ان معناهُ هذا في الاصل لكن العرب حوّلوا التقييد . ومثل هذا كثير حتى في الكلم التي ذكر اعجميّتها في كتابه « الفروق » . فليراجع بعضًا ممّا فيه (ستأتي البقيّة)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر شهاب الدين ابن زين الدين صالح

وهو الثالث من اولاد زين الدين كان سيّدًا من سادات الناس ذا عقل وعلم ودين جمع محاسن كثيرة منها الكتابة الجيّدة والبلاغة ونظم الشعر والذكاء وحسن النظر في الامور ومحبّة اهل العلم واشتغل في علم النحو ومعرفة الكواكب على شيخ كان عندهُ . وكان يعمل النشّاب المليح وتعلّق بصنعة الصياغة وربّما كان اقتبس ذلك من خاله عزّ الدين جواد ابن علم الدين الرمطوني (٩٩) فسار شهاب الدين المذكور مع اهل زمانه احسن سيرة فمالت اليه القلوب وذُكر بكل جميل . وكان والدهُ كثير الإركان اليه لعقله

وكفاءته وحسن ترتيبه. وكان مع هذا مشكورًا عند كل من يعرفه

وسمعت انه حضر عند بيدمر نائب الشام يومًا والمجلس حافل بالامراء والاعيان فشكره بيدمر بقوله: « يكتب مليحًا ويرمي نشابًا مليحًا وهو رجل جيّد السلاح »

وسمعت ان شهاب المذكور كان يعمل طوامير وسبكات ويقدّمها لبيدمر فيفرقها بيدمر على مماليكه ومن حضر عنده. وكان شهاب الدين مرّة بدمشق فرسم له بيدمر ان يركب خيل البريد ويتوجّه الى قرية عين زحلتا من شوف صيداء ليكشف عمّا فيها من اشجار التوت النافع لعمل النشّاب فلم يجده موافقًا. وربّما كان لشهاب الدين تطلّع الى التوفرة على البلاد من الصداع (كذا) بقطع الخشب ونقله والكلفة عليه

وبلغني انّ اهل الشوف اجتهدوا من ذلك الوقت على قطع شجر التوت وتعطيل نشوئه واستئصاله لئلا يصدعهم احد من جهته. فدثر ولم ينشأ منه بعد ذلك الّا القليل. وقد اشتهر شهاب الدين بالمناقب الحميدة والصفات الجميلة وكان يتواضع مع الناس ويصغّر نفسه من علوّ مجده وما كان يتكبّر على شغل باشر بعمله

مولده ليلة الاربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجّة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة (١٣٣١ م) ووفاته رحمه الله تعالى الرابعة من نهار السبت الحادي عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلث وثمانين وسبعمائة (١٣٨١ م). ودُفن (٧٩) في التربة وقد اجتمع في عزائه خلقٌ كثير لم يعهد في عزاء مثله حتى ضاق بهم الفضاء حول التربة وما بَعُد عنها. وحضر اهل جزّين في يوم عزائه قبل دفنه. وهذا يدلّ على انّهم اخّروا دفنه الى ثاني يوم وفاته والله اعلم .

تزوّج زمرّد بنت خاله عزّ الدين جواد ابن علم الدين الرمطوني وهي امّ ولديه علم الدين سليمان وشرف الدين عيسى. ثم توفّيت وتزوّج بعدها نجيمة بنت عمّته وابوها عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن عليّ العرامونيّ وهي امّ ولده سيف الدين ابي بكر واخته لولوة. ثمّ توفّيت وتزوّج بعدها سارة بنت عمّه تقيّ الدين ابراهيم ابن ناصر الدين الحسين وهي امّ ولده عبد الله الذي توفّي صغيرًا بعد ابيه بمدّة. وهي ايضًا امّ بنتيه عُميمة امرأة ناصر الدين محمّد ابن علاء الدين عليّ ابن شمس الدين محمّد العرامونيّ واختها رغدة امرأة علم الدين سليمان ابن بدر الدين محمد

ابن صلاح الدين يوسف ابن سعد الدين خضر . واما جهات اقطاعه فهو نصف اقطاع ابيه شركة اخيه سيف الدين يحيى

ذكر اخيه الامير بدر الدين موسى ابن زين الدين صالح

وهو الرابع من ولد زين الدين وكان كريمًا جوادًا ذا مروءة وافرة وكان له سطوة على المتمردين ويحب قمع المفسدين وردع الطغاة عن اغراضهم ممن تصل يده اليهم . وتعلق بصناعة النجارة وعمل النشاب وبعض صياغة مثل طبع الفضة على نسج عز الدين جواد واجرانها معنا (١٥٥)

ولم يكن بيده اقطاع وكان اخوه سيف الدين يحيى يعطيه من اقطاعه شيئًا يستعين به على حاله مع قليل املاك . وتزوج بنت عمته ووالدها فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين احمد ابن حتي وهي ام بنته زمرد امرأة بدر الدين موسى ابن ظهير الدين علي بن جواد ابن علم الدين الرمطوني . ذكروا ان بدر الدين المذكور تزوجها على غير رضى ابيه زين الدين ولم يقبل ابوه ان يحضر عرسه

مولده بكرة نهار الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الاول سنة اربعين وسبعمائة (١٣٣٩ م) ووفاته رحمه (١

ومن بعد بدر الدين موسى ولد اخوه عيسى ولم يمكن ان نجعل له اسمًا لكونه توفي طفلًا صغيرًا جدًا ولم يُعرف . كان مولده العصر من نهار الاربعاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤٠ م) ورثاه جده ناصر الدين الحسين فقال من قصيدة :

ولمّا نعى الناعي لعيسى تتابعت ... مدامع عيني لا اطيق لها ردّا
وقد كنت ارجوه وآمل انه ... يصير جمالًا في البنين اذا اشتدّا
فعاجله صرف القضا قبل فطمه ... صغيرًا ولم ينطق ولا فارق المهدا
سقت وجهه الميمون رحمة ربه ... لقد كان وجهًا ابيضًا ليس مسودّا

(١٥٥) ذكر اخيهم الامير سيف الدين يحيى ابن زين الدين صالح

هو اصغر اخوته سنًا فلم يُرزق ابوه بعده . وكان المذكور زائد الحسن حسن الترتيب في مشيه وامرته سلك في ذلك احسن طريق واشتهر بالرئاسة بين الامراء

١) كذا في الاصل بدون ذكر السنة

والاكابر فعدّ فيهم من الاعيان . شاد البيت فاجمل فيه الرئاسة وانقادت اليه اقاربهُ وقومهُ . وحجَّ الى البيت الحرام وحجَّ معهُ ولدهُ فخر الدين عثمان (١ والحاج احمد بن عيسى استاذارهُ والحاج حسين من بيصور ويُعرف بابي جميل وعلي بن جديس بيطارهُ والحاج محمد بن اللبّان من بيروت وناصر الدين ابن معن واخوهُ الحاج احمد بن معن والحاج حسن ولد ناصر الدين ابن معن وتكلّف على سفر الحجاز كلفةً كبيرة وهدايا لملك الامراء نائب الشام وللامراء اصحابهِ ولغيرهم

وعمَّر القناة المعروفة به باعميه ورمّمها وزخرفها واجرى اليها الماء وأضاف الى القناة الجارية الى حارة اعميه زيادةً كبيرة تسمّى بالعين الباردة فحسّن حال القناة المذكورة وزاد ماءها ثمَّ جدَّد عمارة ايوان اعميه . ثمَّ عمَّر ايوان بيروت وقصد ترخيمهُ وزخرفتهُ فلم تكمل زخرفتهُ . واجرى الماء الى حارة بيروت المجاورة للبحر والمعروفة به . ونابهُ على العمائر كُلَف كثيرة وتحمّل الديون التي تخلّفت بعده

واماّ جهات اقطاعهِ فهو نصف اقطاع ابيهِ قسمة اقطاع اخيهِ شهاب الدين احمد وكُتب لهما منشور واحد بنزول والدهما (١٠١) حسب ما ذكرنا في ترجمة والدهما . وتاريخ المنشور المذكور اليوم السادس من جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) واستجدَّ لولدهِ عثمان امرة خمسة (٢ وجهاتها شمقاب واكتور وحصور وبعقلين ومزرعة الديورية ومزرعة اليوشرية ومزرعة الدكوانة ومزرعة كفريا(؟) ومزرعة كفرتانيث . وكان قصد ان يشرك فيهِ علم الدين سليمان ابن اخيهِ شهاب الدين احمد فتوفي علم الدين سليمان فاستقرَّ لفخر الدين عثمان وهو صغير . وكان ابوهُ يستعين بهذا الاقطاع على حالهِ مع مستأجرات زيتون وطباخة صابون ولوشية زراعة بجديدة بيروت واملاك وغيرها

وسمعتُ انهُ كان يعمل في بعض السنين اربعين رطل حرير من ملكهِ وتارةً يكون ازيد من ذلك . وكان كثير الخرج ويوسّع في امورهِ فكثرت عليهِ الديون مع كلفة الحجاز ومغرم العمائر

١) جاء في حاشية الكتاب ما حرفهُ : « اخبرني ابو عمر الحكيم قال كنت مع فخر الدين عثمان لمَّا توجّه ابوهُ ليهدي الهدايا لملك الامراء وكان الطنبغا الجوباني وذلك لما حضروا من الحجاز التوبة المذكورة وكانت الهديَّة على ثلاثة اطباق كبار فتشكَّر ملك الامراء واحسن الكلام

٢) جاء في حاشية الكتاب : « الخمسة المذكورة اخذها من صلاح الدين من ذرّيَّة بني ابي الحيش »

ذكر بعض حوادث جرت في ايامه

قد تقدّم ذكر توجّهه الى مصر صحبة سعد الدين خضر ابن عزّ الدين الحسين ابن سعد الدين في سنة فتح الفرنج للاسكندريّة وتعمير بيدمر للشواني في بيروت عند ما قصد تركمان كسروان ما قصدوه كما ذكرنا. وقد تقدّم ايضاً ذكر حضور تعيرة الجنويّة في ذكر اخبار بيروت وكان حضورها بيروت في العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢م). وذكرنا ان العسكر الشامي تقهقر من مدافع الفرنج ونشّاب جروخهم واستتر (١٥١) بالحيطان وان الفرنج نزلوا من مراكبهم الى البرّ وطلع منهم شرذمة الى جوانب القلعة القديمة لنصب سنجق في شرفة عالية اشارةً الى انّ الفرنج ملكوا البرّ ولتقوية قلوب من نزل منهم الى البرّ لنزول باقيهم من الشواني. فلمّا رأى الامير يحيى (١ ذلك هجم بمن معهُ من اصحاب النخوات ورمى بنفسهِ على الذين معهم السنجق فطعنوهُ برماحهم حتى برك بهِ الفرس ثمّ نهض قائماً واقتحمهم حتى وصل الى حامل السنجق فرماهُ ووقع السنجق. فلمّا نظر الفرنج الذين نزلوا الى البرّ انّ السنجق قد وقع لم يسعهم غير الرجوع الى مراكبهم. وركبت المسلمون اقفيتهم فازدحموا على الحمائل حتى انقلب بهم بعضها فوقع منهم جماعة كثيرة في البحر وكانوا مثقلين باللبوس فغرقوا ولم يقدروا على السباحة فعند ذلك نسبوا كسرة الفرنج الى الامير يحيى وعُرفت بهِ. وقد قال لي ملّي مقدّم جبّ حنين من البقاع بعد ذلك: «أنا وابوك في الجنّة لأنّي كنتُ الى جانبهِ يوم وقعة الفرنج ببيروت فلمّا رمى الذي كان معهُ السنجق انا الذي قطعتُ رأسهُ». وكان ملّي يفتخر بذلك بين النّاس. ثمّ بعد هزيمة الفرنج وتزولهم في الشواني وصل نائب الشام بيدمر الى بيروت وقد فات الامر. وكان بيدمر قد وغر صدرهُ على الامير يحيى فغلّظ لهُ في الكلام. ومن كلامهِ: «انت مياطن للفرنج على المسلمين». وكانوا قد شكروا فرس يحيى لبيدمر فاضطرّ الى ان يقدّمهُ لهُ مع فرس آخر (١٥٢). وعاب النّاس على بيدمر اخذهُ لفرس يحيى وقالوا: «كان الواجب على بيدمر ان يعطيهُ ويُنعم عليهِ». وكان هذا الفرس من عند شهاب الدين الكردي صاحب درك نهر ابراهيم قد غالى بثمنهِ عند بيعهِ

واما موجب انقلاب بيدمر على الوالد بعد ما كان من جهتهِ فهو لانّ بيدمر كان

١) الامير يحيى هو ابو المؤلف.

قد عثّر في بيروت مركبًا ليسافر ثمّ يعود الى بيروت. فلمّا كان بيدر مشغولًا بدياط حضر المركب الى بيروت فاحتاج الى مصروف فتوقّف الوالد في اخراج ذلك فسرّها بيدر في خاطره. وكان ابو بكر خليل بن ملّي من صيداء قد توصّل عند بيدر وكان شديد البغض للوالد كثير الحسد له وكان يذكره عند بيدر بما يُغضب بيدر عليه. فلمّا عاد بيدر الى نيابة الشام جعل ابن ملّي المذكور خونداراً صغيراً واضمر الحقد على الوالد. فمن ذلك لمّا تحرّكت الشيعة في بيروت وجرى لذلك حركة رديئة اغتنم بيدر الفرصة فطلب الوالد واهانهُ ومنها انهُ اخرج اقطاعهُ مرّتين فاعطاهُ مرّةً لشخص يُعرف بابن صاري والاخرى ليحيى ابن العفيف. ولم ادرِ ايّهما الاولى من الثانية

اللحية والشعر في الكنيسة الشرقيّة

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

ليس للّحية من ذكر في اسفار العهد الجديد وانّما نعلم من تاريخ شعب الله انّ اليهود كانوا يربّون لحاهم. يشهد بذلك سفر الملوك الثاني (٢٠ : ١—٥) وسفر عزرا (٩ : ٣) الى غير ذلك من الآيات المشهورة. ومن ثمّ يصحّ القول ان المسيح لذكره المجد والحواريين بعدهُ اطلقوا لحاهم جريًا على عادة بلادهم

وان فحصنا الآثار القديمة كالتصاوير والنقوش التي تمثّل هيئة الرب وشخصهُ الكريم وجدنا ان بين المصوّرين الاقدمين اختلافاً فمنهم من يرسم هيئة المخلص بلحية مسترسلة ومنهم من يمثّلهُ بلا لحية. الّا ان في هذا التباين رمزاً كما بيّن ذلك اصحاب العاديات الكنسيّة وذلك انّ المصوّر كان يحلّي وجههُ بلحيةٍ اذا ما اراد الاشارة الى طبيعتهِ الالهيّة وكان يعكس ذلك يمثّلهُ بلا لحيةٍ ان اراد وصف طبيعتهِ البشريّة وقد ايّد العلّامة كراوس (Kraus) هذا الرأي في دائرة العلوم المسيحيّة القديمة (١ وذكر

(١ راجع Encyklop. d. Christ. Alterthümer II, 24.